

الفصل الحادي عشر:

المتنسلات

عن يناسا

وأسنوارها

وخبايا منازلها

دار هارولان بالتوكور قرب سور المدينة الضخم، والذي يرتفع عالياً مغطياً المنازل والقصور التي يضمها في قلبه تغطية تامة.. ظلت بي ناريا تنتظر لتصرف هارولان بتعجب وهو يحث التوكور على السير رافعاً بصره بين فينة وأخرى ليتأمل أبراج المراقبة الموزعة على مسافات متساوية وقريبة من بعضها.. ثم غمغمت "كيف تنوي أن تتسلل للمدينة؟ هل تنوي القفز من فوق السور بالتوكور؟"

لم يبتسم لمزاحها وهو يقترب من إحدى القنوات المائية التي تعبر المدينة والسور لتتطلق وسط الساحات العشبية حتى تصب في بحيرة صغيرة تتوسط الغابة القريبة.. كانت المدينة تمتلك سبع قنوات مائية موزعة بشكل متساوٍ في أنحائها مستغلة كثرة المصادر المائية الطبيعية قرب يناساً من بحيرات وأنهار ومنايع.. علق بي ناريا وهي تراه يراقب المكان "لا تفكر في الأمر.. القنوات محمية ببوابات حديدية تمنع المتسللين للمدينة، وإلا ما فائدة الأسوار إذا؟"

غمغم "هل تصمتين قليلاً حتى أنتهي؟ لست بالحمق الذي تظنينني به" أطبقت بي ناريا فمها بشيء من الحنق.. لماذا يعاملها الجميع كشيء مهمل لا داعي لاعتباره؟.. وبعد لحظات صمت طويلة، ترحل هارولان عن التوكور وهو يقول "تظاهري بأنك تعبئين الماء في الحاوية لديك" تبعته نازلة من التوكور وتناولت الحاوية من جرابه، لتنزل الدرجات القليلة المؤدية إلى القناة المنخفضة، وانشغلت بتعبئة الحاوية بالماء وهي ترى هارولان يغسل وجهه من مياه القناة التي كانت على شيء من البرودة قبل أن يغمغم "سنبقى هنا حتى حلول الظلام.. ثم سنسلك طريقنا إلى المدينة عبر هذه القناة.."

قالت بي ناريا مقطبة "هل سمعت شيئاً مما قلته قبل قليل؟ كيف تنوي تجاوز البوابة الحديدية؟ وألم تلاحظ أن ستة جنود على الأقل يراقبونك من الأبراج القريبة؟"

لم يعلق على اعتراضها، فزفرت بضيق وهي تجلس على حافة القناة صامتة.. ولم تلبث أن رمت حذاءيها جانباً ودلت قدميها في الماء متألمة نقاوته ومستشعرة برودته.. تنهدت وهي تود لو ترمي نفسها في الماء، فقد مرت عدة أيام منذ حظيت بحمام نظيف، هذا إن كان يمكن اعتبار ما تستخدمه في الوكر حماماً.. التفتت إلى هارولان لتجده يقترب ممسكاً بلجام التوكور ليقربه من الماء ويسمح له بشربه.. كانت تود لو تلح عليه بالسؤال عن خطئه، لأنها تخشى أن يقعا في قبضة الجنود وهي قاب قوسين أو أدنى من النجاح.. لكنها عزفت عن ذلك مع معاملته الجافة لها وتجاهله لتساؤلاتها..

مر وقت ليس بالقصير وهما يتشاغلان قرب القناة متظاهرين بانتظار رفع الحظر عن المدينة.. ولكن عندما غابت الشمس وعم الظلام التام المكان، كان هارولان وبي ناريا يتسللان مقتربين من سور يناساً ومن الفتحة التي تخترقها القناة عبر السور والمحمية بباب حديدي قوي ذو أعمدة غليظة.. أشار هارولان لبي ناريا لتبقى مختبئة في موقعها، ونزل إلى القناة العميقة بهدوء وغاب فيها تماماً..

انتظرت بي ناريا والحيرة تكتنفها مما يفعله، ثم التفتت إلى حيث تركا التوكور متسائلة إن كانت خدعتهما ستنجح في تضليل الجند عند الأبراج القريبة.. بعد فترة قصيرة ظهر رأس هارولان من المياه واقترب من بي ناريا هامساً "ليست هذه المقصودة.. لنذهب إلى الجهة الأخرى.. سنحاول في القناة التالية.."

قطبت بي ناريا متسائلة "ما الذي تحاول فعله بالضبط؟ أخبرني كي أوفر عليك العناء.." قال باقتضاب "اتبعيني واتركي الأسئلة لوقت لاحق.."

ثم مد يده إليها متسائلاً "هل يمكنك السباحة؟"

أجابت دون أن تقبل يده "بالطبع يمكنني.. ولو أنني لا أدرك فائدة هذا كله.."

وانزلقت في المياه بهدوء تابعة هارولان عبر القناة متسائلة "وماذا عن التوكور؟ هل سنتركه هنا؟"

قال هارولان "إنه ليس مربوطاً بإحكام.. بعد فترة من الوقت سيحرر نفسه وينطلق في حال سبيله.. فلم تعد له حاجة الآن"

وصلا إلى الجانب الآخر فارتقيا الضفة وسارا قرب جدار سور المدينة محاذرين أن يسقط عليهم ضوء الكشف الخاص بأقرب برج مراقبة والذي يتحرك بشكل مستمر كاشفاً مساحة واسعة من الأرض في كل مرة..

فغمغمت بي ناريا وهي تتخلل شعرها بيدها لتنفض الماء عنه "أنحن ناهبون إلى القناة الأخرى؟"

لم يجاوبها هارولان مما عنى موافقته على ما قالت، فهمست بشيء من الحدة "أتعلم كم تبعد عنا؟ لم لا نستخدم التوكور للوصول إلى هناك فهو أسرع"

قال هارولان مقطباً "هل تريدان كشفنا بهذه السرعة؟ تحلّي بالصبر فهذه هي وسيلتنا الوحيدة للدخول غمغمت بضيق "لو أنك تفصح بما في ذهنك بدل هذا التكتّم غير المفهوم"

صمت هارولان من جديد، فزفرت بضيق وهي تتبعه والبرودة تتخلل ملابسهما المبللة جاعلة ضيق بي ناريا يتزايد..

في تلك الأثناء، وقف أحد الجنود عند برج المراقبة يحرق في القناة القريبة منه لمدة طالت، ثم التفت إلى جندي آخر قائلاً "هل يستطيع ضوء الكشف أن يصل إلى تلك البقعة؟ حاول إضاءتها قليلاً.."

أطاعه الجندي مديراً الكشف العملاق ليسقطه على البقعة التي كان يحتلها هارولان وبي ناريا، فتسبب الضوء المفاجيء بإفزع التوكور الذي أطلق صهيلاً محدوداً قبل أن يفر راكضاً مبتعداً عن المدينة.. عندها غمغم الجندي "هناك أمر مريب يحدث.. لقد شككت في هدوء هذين الاثنين منذ مدة طويلة، والآن مع هروب التوكور فإن أحدهما لم يحرك إصبعاً.."

قال الجندي الثاني "أرسل فرقة من الجنود تتحقق من أمرهما.. لا يجب أن نهمل هذين مع كل التحذيرات التي أوصانا بها القائد العام"

سارع الجندي ليتحدث عبر جهاز الاتصال، وخلال مدة قصيرة، جاءت فرقة من الجنود من البوابة القريبة وسط دهشة الجمهور المتجمع قرب البوابة بين نائم ومستيقظ.. فاقتربت الفرقة من موقع هارولان السابق ملاحظين الشخصين النائمين على ضفة القناة بهدوء متلفعين بمعاطف طويلة تغطي جسديهما كله.. فصاح أحد الجنود "هيه.. أنتما.. انهضوا وابتعدوا عن القناة فبقاؤكما هنا ممنوع"

جاوبه الصمت التام، فهبّ إلى أقرب الجسدين ورفع المعطف بسرعة، ليرى تحته كومة من الرمال تشكل جسداً كرجل نائم تمت تغطيتها بالمعطف بشكل تام.. فصاح وهو يكشف الجسد الآخر "يا للأوغاد.. لقد خدعونا.."

وسارع للاتصال بالجنود القائمين عند الأبراج ليحذرهم ويطلب منهم البحث عن الاثنين المختفين، فتساءل أحد الجنود قربه "وما الخوف من هذين الاثنين؟ لا يمكنهما الدخول إلى المدينة مهما حاولا فالأبواب محمية بعناية" قال الجندي مقطباً "هناك أمر مريب فيهما.. انعزالهما عن البقية كل هذا الوقت، وبذلهما الجهد لخداعنا بهذه الطريقة، كل هذا دليل على أنهما ينتويان شيئاً.."

غمغم الجندي الأول "لكن متى تسنى لهما نقل كل هذه الكمية من الرمال وسط نظر الجنود على الأبراج؟" قال الجندي الثاني وهو يعود أدراجه "لا يهم هذا الآن.. المهم أن نقبض عليهما ونستجوبيهما، قبل أن يفعلوا ما جاء لأجله"

في نفس الوقت كانت بي ناريا تجلس قرب ضفة القناة الثانية تحاول التقاط أنفاسها بعد أن سارت مسافة طويلة ما بين القناتين.. لكن لم تكد تنال ما يفيها من راحة حتى رأت رأس هارولان يبرز من الماء ويقول لها "هيا بنا.. لقد عثرت على بغيتنا.."

تساءلت "وما هو؟"

أجابها "فتحة في الباب الحديدي.. لقد عثرت على هذا المدخل في مهمتي السابقة.. مدينة مهمة كيناساً لابد لها من مدخل خلفي.. فلا بد أن هذه الفتحة قد صنعها بعض المتسللين السابقين للمدينة.."

أدركت بي ناريا أنه يتحدث عن الأيام التي تركها فيها في إقليم سيرالدا حتى عودته في الغابة القريبة من يانا.. عندها سألته "وما كانت مهمتك هذه؟"

قال مقطباً "أتظنن الوقت مناسباً لاستجوابي؟"

صمتت بضيق وهو يضيف "حتى لو كان لدينا الوقت كله، ما أظنني في يوم قد أفصح لك عن شيء من أسرارنا.."

كادت بي ناريا تعلق على قوله بغيط، لكن فوجئوا بنور كشاف أقرب برج إليهم يسلط عليهم معشياً أعينهم، تعالى بعده صياح الجنود يأمرونهم بالتوقف.. فقال هارولان بحدة "أسرعي.. خذي نفساً عميقاً وغوصي خلفي.."

نزلت بي ناريا بسرعة إلى الماء وأخذت نفساً عميقاً، ثم غاصت في المياه الباردة خلف هارولان.. كان الكشف المسلط عليهم قد تسلل إلى مياه القناة المظلمة مانحاً إياهما مجالاً أوسع للرؤية، فأمسك هارولان يد بي ناريا وجذبها وهو يسبح بسرعة إلى الباب الحديدي القريب والذي يقف حاجزاً بين موقعهم ودخول المدينة عبر القناة، سامحاً فقط للمياه المتدفقة من سلك طريقها عبر القناة إلى المدينة حيث تلتقي القنوات جميعها في المنتصف في قناة عريضة تدور حول القصر الملكي عازلة إياه عن باقي المدينة وما من سبيل إليه إلا عبر جسور عليها حراسة مشددة..

عندما اقتربوا من الباب الحديدي تمكنت بي ناريا من رؤية فتحة صغيرة فيه تمت بنزع أجزاء من أعمدة الباب الحديدية.. كانت الفتحة تتسع لشخص واحد، فعبر هارولان الفتحة، ووقف قربها حتى عبرتها بي ناريا، ثم ارتفعا إلى سطح المياه بهدوء.. لكن لم يكادا يظهران وبي ناريا تتنفس بقوة لتعويض حاجتها للأكسجين، حتى

سمعوا صراخ الجنود وهو يقتربون من حافة القناة بعد أن أُنذَرهم الجنود الرابضين على البرج القريب بوجود المتسللين.. في نفس اللحظة التي سقط عليهم فيها ضوء الكشاف من أقرب برج مراقبة.. جذب هارولان بي ناريا لتغوص من جديد وسبح بأسرع ما يستطيع محاولاً تجاوز ضوء الكشاف الساقط عليهم والذي يكشف موقعهم بوضوح.. شعرت بي ناريا ببضع طلقات من الرصاص تخترق المياه قريباً منهما دون أن تصيبهما، لكنهما لم يتوقفا وهما يعبران بقعة الضوء التي عجزت عن متابعتهما وهارولان يجذبها خلفه ليعينها على السباحة بسرعة.. بعد مدة قصيرة، جذبت بي ناريا يدها ليفلتها وظهرت على السطح وقد عجزت عن الاستمرار أكثر من هذا.. فأخذت تشهق بقوة وهارولان يظهر قربها ليرى الجنود يفتشون القناة قريباً منهم حاملين كشافات صغيرة لتضيء القناة وقد عجزوا عن رؤية هارولان وبي ناريا في الظلام المحيط بهما.. عندها همس هارولان "لنسرع بالهروب.."

واتجه إلى ضفة القناة المعاكسة للتي وقف عليها الجنود، فرفع نفسه بخفة عليها ثم عاون بي ناريا على الخروج.. وما كادت تفعل حتى جذبها من جديد راکضاً إلى المنازل القريبة منهم وهي تحاول مجاراته وعسر التنفس يجعل من الصعب عليها إتيان هذا المجهود.. في تلك اللحظة، رأوا نور الكشاف يسقط عليهم من الخلف من جديد والجنود يتصايحون محاولين عبور القناة من أقرب جسر للحاق بهم، فهتف هارولان بسخط "تباً.. يجب أن نختبئ.."

غمغمت بي ناريا متقطعة الأنفاس "وأين يمكن أن نختبئ؟ منزل جوين بعيد من هنا، ولا نعلم إلى من يمكن أن نلتجئ دون أن يخوننا بكشف أمرنا للجنود.."

وصلا إلى المنازل القريبة الساكنة فعبرا الأزقة بين المنازل بسرعة محاولين الاختباء قبل وصول الجنود من الضفة الأخرى للقناة.. كان تصميم المدينة يشبه الشمس حيث القصر والربوة حوله هي المركز، والمنازل المصطفة طولياً باتجاه القصر هي الأشعة.. ركض الاثنان بلا وجهة بين المنازل وهما يسمعان صياح الجنود خلفهما ووقع الأقدام الثقيلة المميزة لهم.. وفجأة سطع نور في وجهيهما أجبرهما على التوقف وهما يسمعان مزيداً من وقع الأقدام يحيط بهما.. فتحت بي ناريا عينيها بشيء من العسر لتجد أنهما أصبحا محاصرين بعدد من الجنود، ووقع الأقدام التي تقترب يدلها على اقتراب المزيد من الجنود من خلفهما مما يجعلهما في موقف أسوأ.. فهمست بقلق "ما الذي سنفعله الآن؟ أخشى أن يتعرفوا عليّ"

شعرت بهارولان يضغط على يدها وهو صامت وأحد الجنود يتقدم منهما قائلاً بصرامة "توقفا وإياكما محاولة الهرب من جديد.."

كان الجندي يرفع سلاحه في وجهيهما فيما وقف البقية متحفزين لأقل حركة.. لكن ما إن اقترب حتى اندفع هارولان وأمسك سلاحه بقوة وهو يلكمه في وجهه بيده الأخرى ألقتة للوراء.. في نفس اللحظة كان هارولان قد جذب بي ناريا من يدها محاولاً الاندفاع بين الجنود في أضعف بقعة من الحصار وهو يرفع سلاحه ويطلقه عليهم بغزارة.. تراجع الجنود وقد أخذتهم المفاجأة والرصاص يصيبهم بإصابات متفرقة وإن تماسك البقية وهم يرفعون أسلحتهم بدورهم ويندفعون نحوهما محاولين إيقافهما..

تنصل هارولان من الجنود الأقرب إليه وكاد يفلت من الحصار عندما فوجيء ببي ناريا تقفلت يده وأحد الجنود يجذبها بعنف ممسكاً ذراعها بشكل ألمها حتى سقطت أرضاً وهي تشهق بألم.. فصاحت بشدة وقد نسيت حذرهما "كيف تجرؤ أيها الوغد؟.."

بهت الجندي وهو يتطلع إلى وجهها على ضوء الكشاف فيما وضعت بي ناريا يدها على فمها بشيء من الذعر.. مستحيل أن يكون قد تعرفها.. أيمن هذا؟.. التفتت خلفها بحثاً عن هارولان لينقذها من هذا الموقف، كعادته، لكنها رأت الجنود يتراكمون باحثين عنه وقد اختفى من المكان كلياً..

ظلت تنتظر لموقع اختفائه بذهول غير مصدق وأحد الجنود يقترب منها قائلاً بسخط "لقد أفلت ذلك الرجل بخفة من بيننا.. تخلى عن الفتاة وهرب دون أن يلتفت خلفه.."

غمرت نفضة جسد بي ناريا وهي مصدومة لتخلي هارولان عنها عندما سمعت الجندي الذي أوقعها يقول "أنت.. بي ناريا؟"

تحولت نفضة بي ناريا إلى ارتجافة واضحة وهي تقول بصوت متحشرج من الذعر "من.. أنا؟"

قال الجندي وهو يسلط الضوء عليها أكثر "أجل.. أنت بي ناريا.. أليس كذلك؟"

قال الجندي الآخر "أنت تهذي.. هذه الفتاة لا تشبه الملكة السابقة في شيء.."

قال الجندي بغير تصديق "لكنني أذكر هذا الصوت، وهذه النبرة المميزة.. لقد عملت في القصر لفترة وأعرف بي ناريا عن قرب.."

تطلع الجندي الآخر إلى بي ناريا الصامته برعب وهو يقول مدققاً في وجهها "كلا.. لا يمكن.. هذه سمراء

البشرة وعينها بنية اللون.. صحيح أنها جميلة، لكن جمالها لا يقارن بجمال بي ناريا.."

ثم أنهضها بقوة وهو يسألها "من أنتما؟ وكيف أمكنكما التسلل إلى المدينة رغم وجود البوابات الحديدية على القنوت؟ بل لماذا تسللتما في الأصل؟"

صمتت بي ناريا وهي تتلفت حولها ملاحظة أن جميع الجنود الذين كانوا قريباً قد توزعوا في الأزقة القريبة بحثاً عن هارولان، فهزها الجندي من جديد "أجيبني.. من أنتما حقاً؟"

حاولت بي ناريا إفلات يدها من قبضته وهي تقول وذعرها يتحول لغضب، من تخلي هارولان عنها، ومن معاملة جنودها السابقين لها بالطريقة الجلفة هذه "اتركني يا هذا.."

قال الجندي وهو يجرها معه "محال.. سنحتجزك حتى نقبض على رفيقك الهارب، ثم سنزج بكما في...."

قطع حديثه بأهة ألم عندما اخترقت ذراعه المسكة ببي ناريا رصاصة أطلقت من موقع مجهول تبعثها رصاصة أصابت كتفه.. وقفت بي ناريا تنتظر إليه مذهولة فيما صاح الجندي الآخر "الوغد.. أين هو؟"

سمعت بي ناريا صوت هارولان يهتف بها "اهربي.."

نفذت أمره على الفور بعد أن اعتادت على تلقي الأوامر منه ولم تعد تستنكر ذلك.. حاول الجندي الآخر القبض عليها لكنها كانت على مبعدة منه مكنتها من الفرار وهي تتجه لأقرب زقاق مظلم.. سمعت الجندي خلفها يصيح رافعاً سلاحه "تباً لك.. توقفي.."

تبعها صوت طلقة أثارت رجفة في بدنها، لكنها لم تتوقف وهي تسمع الجندي يصيح ساخطاً.. لم تنظر خلفها وهي تندس في الزقاق الذي بدا لها الأقرب للجهة التي سمعت فيها صوت هارولان.. وظلت تجري لاهثة دون أن يفوتها صوت الأقدام التي جذبها الطلق الناري في الليل الهادئ.. خشيت بي ناريا أن يقتفي الجنود أثرها بسرعة، ولم تستطع رؤية هارولان أو العثور عليه وهي غير قادرة على مناداته لئلا تجذب المزيد من الانتباه.. وأثناء مرورها بأحد المنازل شعرت بيد تجذبها لتدخل باب المنزل المظلم، فشبهت بخوف وهي تحاول دفع تلك اليد عنها.. لكنها سمعت صوت هارولان وهو يهمس "إنه أنا.. لا تخافي.."

زال خوفها وإن لم يتخل قلبها عن ضرباته المتلاحقة، فهمست بحدة "لقد تخليت عني.."
قال وهو يجذبها خلفه داخلاً المنزل "أعتقد ذلك؟"

صمتت بمضض وهي مدركة أنه أنقذها بطريقته الخاصة، ثم تساءلت "ألن يثير قدومنا انتباه أصحاب المنزل؟"
أجابها "المنزل مهجور.. لقد تأكدت منه بعد هربي من الجنود.. والآن نستطيع الاختباء من ملاحقينا حتى نتمكن من الوصول إلى بقية الثوار"

غمغمت مقطبة "لابد أن الجنود سيفتشون المنطقة جيداً.. ولن يفوتهم تفتيش هذا المنزل.."
أجاب هارولان بابتسامة "هذا إن وجدونا فيه.."

قادها عبر الغرف إلى سلم يتوسط المنزل ويقود للأعلى.. وخلال لحظات كانا ينظران إلى باب يفصلهما عن سطح المنزل.. حاول هارولان فتحه عدة مرات دون أن ينجح في ذلك.. عندها قام بلطم الباب بكتفه السليمة عدة مرات بقوة حتى استسلم الباب وفتح بعنف.. وإن لم تخف مظاهر الألم على وجهه عن بي ناريا، لكنها لم تعلق وهي تعلم بكراهيته لاهتمامها به.. عبرا الباب وسارع هارولان لإغلاقه وسدّه بقطعة حديدية وجدها ملقاة أرضاً، ليبدو الباب مغلقاً لم يعبر منه أحد.. وعلى السطح، أسرع هارولان إلى حافة المكان قائلاً "المساحة بين المنازل صغيرة ويمكن تجاوزها.. سنقفز من منزل لآخر مستغلين بحث الجنود عنا في الأسفل وغفلتهم عما يحدث بالأعلى"

ترددت بي ناريا وهي تتطلع إلى المسافة الفاصلة بين المنزلين بقلق، فجذب هارولان يدها وهو يقول "اقفزي بأقوى ما تستطيعين دون تفكير.. وأنا لن أفلتك أبداً"
هزت رأسها موافقة، ومعاً قفزا المسافة بنجاح ليهبطا على سطح المنزل الآخر وبي ناريا تكاد تفقد توازنها.. ودون التقاط الأنفاس استمروا بالركض عبر السطح إلى منزل آخر وهارولان يقول لها "كوني معي على خطوة واحدة ولا تترددي ثانية واحدة"

استمرا بالقفز من منزل لآخر مسافة طويلة.. وبعد مدة توقفا وهارولان ينظر للشارع القريب منهما ويصيح السمع.. ولما تأكد لهما أن الصمت يسود الأجواء بدون أن يسمعا هدير مركبات الجنود المميز أو وقع أقدامهم العالي في هدوء الليل، قال لها وهو يجذبها إلى زاوية في السطح تخفيهما عن الأعين "سنبقى هنا حتى الصباح فأنت تبدين في حال سيئة، وغداً نحاول الذوبان بين الناس حتى نصل لوجهتنا.."
لم تعترض بكلمة وهي تحاول التقاط أنفاسها.. رأتها يجلس على الأرض، فجلست غير بعيد عنه وهي تلف

جسدها بذراعيها بقوة، فلم تزل ثيابها مبللة، وهي قد اضطرت للتخلي عن معطفها لخداع الجنود ليتمكنوا من التسلل للمدينة.. كانت يناسًا مشهورة بين الأقاليم أن بردها يتجاوز الدرجات المعتدلة.. وظنت بي ناريا وهي عاجزة عن إيقاف اصطكاك أسنانها أنها قد تقضي نحبها متجمدة قبل طلوع الشمس..

عندما انتبه هارولان لارتجاف جسدها جذبها قربه وأحاطها بذراعه.. فاستكانت بي ناريا له وهي تشعر بالدفع في جسدها بالإضافة لدفع قلبها.. تمنّت لو يصرّح لها بحبه من جديد.. لو يعود كما عرفتة سابقاً رجلاً مغرماً يمنحها حبه بلا قيود.. بدا وكأنه سمع أفكارها وهي تسمعه يهمس متجاوزاً الصمت بينهما "أحقاً أنت لي؟"

ارتجفت وهي تتطلع إليه بدهشة، ورغم أن عينيه القويتين كانتا تنظران إليها بثبات، إلا أن حيرة واضحة كانت تطل منهما.. فقالت بي ناريا بصوت مرتجف "أنا لك دائماً.."

وجدت يده تمسك بيدها وتضغط عليها بقوة، فأسندت رأسها إلى كتفه وهي تحاول كتم سعادة غمرتها.. هذه هي المرة الأولى التي يسألها فيها هذا السؤال منذ عرف هويتها وصرّح بكرهه لها.. هذا كان إعلاناً منه أنه لا زال لها في قلبه مسكن، وأنه لا يزال حريصاً على حبها وحياتها.. ولشد ما أسعدها هذا رغم الظروف التي يمرون بها..

ورغم أنه عاد يلتزم الصمت التام، إلا أنها قالت بهمس "ناريا.."

النقت نظراته المستفهمة بنظراتها اللامعة وهي تضيف "هذا لقب أحبه كثيراً.. لم أسمح لأحد آخر بمناداتي به من قبل، عدا عن والدي، ولم أعتقد أنني سأسمح بهذا إلا لمن يملك قلبي.."

ظلت نظراته تجوب وجهها بصمت وهي بانتظار أن تسمعه يناديها بهذا اللقب لتتأكد أنه قد غفر لها كل ما سبق.. لكنه تنهد وهو يلتفت بعيداً مغمغماً "من يدري، أسمعني في يوم أم لا.."

كان هذا رفضاً صريحاً لعرضها بفتح صفحة جديدة في علاقتها ونسيان الماضي، فصمتت بي ناريا والوجوم يغزوها مزيلاً السعادة التي شعرت بها للحظات.. وأغمضت عينيها محاولة الهرب من هذا الموقف بالنوم مستجيبة لجسدها الذي أنّ محتجاً.. أما هارولان، فقد ظل يتأمل وجهها الساكن وقلبه ممزق.. لو كان وفيّاً لعده السابق لما كانت بي ناريا تتنفس بسلام قربه.. لكنه يحبها.. بل يعشقها.. رغم أنه لم يهتم بها كثيراً في السابق، إلا أن رؤية دموعها وضعفها ذلك اليوم قد قلبا كيانه.. أصبحت في كل ساعة يراها تتغلغل أكثر في قلبه وتزيل دفاعاته.. فكيف يستطيع إيذاءها؟ كيف يطاوعه قلبه بروية ألمها أو التفكير بالتخلي عنها في أي وقت؟..

ضمّهما أكثر إليه ملاحظاً انتظام أنفاسها وقد ألمه أكثر اطمئنانها إليه بهذه الصورة المطلقة.. وكأنها تثق فيه أكثر من ثقته بنفسه.. فتنهد وهو يهمس "ما الذي فعلته بي يا ناريا.. ما الذي فعلته بي؟!.."

لم يكن الظلام قد زال عندما استيقظت بي ناريا على همس هارولان.. نهضت متوجسة لتسمعه يقول "يجب أن نطلق الآن.. يكفي ما نلناه من راحة، فهربنا في النهار أصعب من الآن.."

نهضت بصمت وهي تجد جسدها أكثر تعباً بعد نومها جالسة في هذا البرد الشديد.. وتبعت هارولان الذي لم يبد أنه غفا للحظة واحدة مغممة "ألست متعباً؟ أخشى أن ينهار جسدك دفعة واحدة كما حدث من قبل" لم يعلق بكلمة وهي تتبعه إلى حافة سطح المنزل.. فراقب هارولان الشارع ليتأكد من خلوه من الجنود، ثم قال "المكان آمن الآن تقريباً.. هناك من التمديدات على ارتفاع المنزل ما يمكننا من الهبوط بأمان"

قالت بي ناريا بقلق "ولم لا نهبط من السلم الداخلي فهو آمن لنا" قال هارولان "لا أريد لأصحاب المنزل أن يكونوا شهوداً علينا.. هل يمكنك فعل ذلك؟" قالت بتوتر "لا.. لست واثقة أنني أستطيع.."

فقال "إذن تمسكي بي وأنا سأهبط بك للأسفل" اعترضت "لكن.. أنت جريح.."

فقال هارولان مقطباً "لا تتسببي في تأخيرنا.. أطيعيني في كل ما أطلبه حتى نتمكن من الوصول إلى هدفنا بسلام"

أذعنت له وهو يدير لها ظهره فتمسكت بعنقه، وعلى الفور بدأ بالهبوط وهي تنظر للأسفل بذعر شاعرة أنها قد تسقط في أية لحظة، وزاد قلقها الصوت الصادر من الأنابيب الحديدية تحت وطأة ثقليهما معاً.. ولما تجاوزا ثلثي المسافة قال لها فجأة "تشبثي.."

وما كادت تفعل حتى قفز هارولان ما بقي منها ليهبط أرضاً على قدميه.. فغمغت وهي تتخلى عنه "أنت تهوى إفزاعي.."

لم يعلق بكلمة، فلم تفتها ملامح الألم التي تغزو وجهه.. فغمغت بتذمر لتخفي قلقها "أنت بالكاد تستطيع أن تبذل مجهوداً كهذا الآن مع هذه الإصابات.. لو هاجمنا الجنود فهل ستقدر على الهرب منهم؟" قال هارولان باقتضاب "لن يهاجمونا إن أحسنّا التتكر.."

وأشار لها لتبقى مختبئة خلف جدار المنزل.. فقبعت في موقعها وهي متعجبة من ثقته، فبماذا سيتتكرون وهم لا يملكون شيئاً؟ وأي تنكر سيعمي أبصار الجنود عنهما؟.. رأت هارولان يمسك سلاحه الذي لم يستخدمه منذ فترة، خشية جذب الانتباه، مقلوباً في يده.. وتسلسل بين المنازل مشيراً لها لتتبعه بعد أن يطمئن لخلو المكان من ملاحقيهم.. وبعد فترة قصيرة، أشار لها بالسكون، ونظر من خلف جدار المنزل مراقباً جنديين يقفان قريباً وكل منهما يحمل سلاحاً بيده ويقف متحفظاً.. لاحظ هارولان أن كلاهما كان يضع يداً قرب أذنه منصتاً بصمت، فأدرك أنهما يتلقيان أوامر من قائدهما.. عندها استغل انشغالهما وتسلسل خلفهما بصمت ليهجم على أقربهما ويضربه بمؤخرة سلاحه في رأسه.. لم تكن الضربة بالقوة الكافية مع ضعف هارولان والخوذة التي يحتمي بها الجندي.. لكن هارولان الذي رأى الجندي الآخر يوجه سلاحه تجاهه وهو يشتم سارع لضرب يده المسكة بالسلاح لتطيش طلقته وهو يركل الجندي الأول في الوقت ذاته ليلقيه أرضاً.. ثم استدار إلى الثاني الذي عاد يوجه سلاحه إليه فلكمه بقوة متفادياً السلاح.. وبلكمتين أخريتين كان الجندي قد وقع أرضاً فاقد الوعي، في نفس اللحظة التي سمع فيها هتاف بي ناريا المرتاعة "انتبه خلفك.."

جذب هتافها انتباه الجندي الأول الذي كاد يصيب هارولان بسلاحه، لكن ضربة أخرى من مؤخرة سلاح هارولان على رأسه أفقدته الوعي ليسقط أرضاً بدوره.. وقف هارولان لحظات يحاول التقاط أنفاسه بعد هذا المجهود، مما دلّ بي ناريا أنه لا يزال منهكاً من إصاباته السابقة، ثم رآته يجذب أحد الجنود إلى زقاق جانبي مظلم قبل أن يعود ليجذب الآخر وبي ناريا تتبعه متعجبة.. وهناك، قام بتجريد أصغرها حجماً من ملابسه وناولها لبي ناريا قائلاً "استبدلي ملابسك بهذه.. بهذا يمكننا التنقل بحرية أكثر..". نظرت في وجهه وهي تغمغ "أنت تمزح.. أليس كذلك؟" قطب هارولان معلقاً "ليس هذا هو الوقت الملائم للعجرفة والتكبر.. حياتك على المحك، وإن كنت تريدين النجاة فأطيعيني بصمت..".

ورمى الملابس عليها مستديراً إلى الجندي الآخر مضيفاً "لديك عدة دقائق لتنتهي قبل أن يمتلئ المكان بالجنود.. وإلا تركتك هنا..". نظرت بي ناريا إلى الملابس باشمئزاز.. أن ترتدي ملابس امرأة من العامة شيء، وأن ترتدي ملابس جندي مليئة بالعرق والقذارة كما تراها، فهذا شيء آخر.. بعد تردد غمغت "هل يمكنني ارتداؤها فوق ملابسني؟" قال هارولان وهو يسارع لارتداء الملابس بدوره "افعلي ما يروق لك.. لكن سيبدو شكك مضحكاً..". لم تهتم بي ناريا بذلك وهي ترتدي الملابس فوق ملابسها شاعرة بالضيق، ولاحظت أن النور قد بدأ ينتشر مع مطلع الشمس الوشيك، فقال لها هارولان "هل أنت واثقة من الطريق المؤدي لمنزل الوصيصة؟" قالت بي ناريا "أجل.. إنه قريب من هنا، لا يفصلنا عنه إلا بضع أحياء..". فقال وهو يمسك بسلاح الجندي "إذن هيا بنا.. هل تجيدين استخدامه؟" أمسكت بي ناريا سلاح الجندي الآخر مغمغمة "أنت مدرك أنني لابد قد تدربت على استخدامه.. أليس كذلك؟" لم يعلق وهو يجد السير وهي تتبعه بخطوات سريعة.. سارا في الطرقات محاولين إظهار الثقة في مظهرهما لكي لا يثيرا الشك، وإن تجنباً الاحتكاك مباشرة بالجنود مكتفين بالاستماع إلى قناة الإرسال العامة للجنود التي تحمل التعليمات الرئيسية لكل عبر جهاز صغير مثبت في ياقة القميص تمتد منه سماعات وضعها في أذنيهما، والتي أظهرت لهم تخطيط الجنود في البحث عن بي ناريا مع العديد من التقارير الخاطئة عن مكان تواجدها، فغمغ هارولان "بهذا يمكننا معرفة مدى الخطر الذي يتهددنا.. فلنسرع..". عبرا عدة طرقات قبل أن يصلا للشارع الرئيسي الذي بدأت فيه حركة الناس مع مطلع الشمس والجميع يسارع لقضاء حاجاتهم والتوجه لأعمالهم.. وسرعان ما ذاب الاثنان بين الجموع مستغلين عدم اهتمام أحد بشخصيتيهما أو بلبس الجنود المعتاد في هذه الأماكن..

عندما تعالت الطرقات على باب منزل جوين، توجس جميع من بالمنزل من الثوار وهم يستلون أسلحتهم وأقربهم للنافذة يلقي نظرة على الطارق، فغلبه القلق وهو يهمس "إنهما جنديان..".

اتسعت الأعين بذهول وقلق عندما لحظ الرجل أن أحد الجنديين قد رفع خوذته لتكشف وجهه واضحاً، عندها تنهد بارتياح قبل أن يشير للبقية قائلاً "لا تقلقوا.. إنه هارولان.."

فتح أحدهم الباب ليدلف منه هارولان وبي ناريا.. كان السرور بادياً على وجوه الجميع لعودة هارولان سالماً، بينما وجدت بي ناريا جوين تهب إليها وتعانقها قائلة "خشيت أن لا تستطيعي الوصول إلينا سالمة.."

اقتربت والددة جوين بدورها قائلة "مرحباً بك في منزلنا المتواضع يا مولاتي.."

والتفتت إلى هارولان مضيفة "شكراً لك لأنك حافظت عليها"

لم يعلق هارولان بكلمة بينما اقتربت بي ناريا قائلة للرئيس بحدة "كيف تتركنا وترحل بالرجال دون أن تعلم إن كنا سننجح باللاحق بكم أم لا؟"

ابتسم الرئيس لغضبها وهو يقول "لكنكما لحقتما بنا.. أليس كذلك؟ لقد وثقت بهارولان.. وهو لم يخيب ظني أبداً.."

ازداد غضبها وكادت تفرغ ما يجول بذهنها أمامه، لكنه قاطعها قائلاً "رقاب الرجال أمانة في عنقي.. ولو تأخرنا مدة أطول فقد لا نستطيع دخول المدينة البتة، كما حدث معكما.. لذلك احتطت لأضمن سلامة البقية من رجالي.. وكنت سأرسل من يبحث عنكما لو تأخرتما في المجيء.."

قطبت بي ناريا بحنق، ثم سمعت والددة جوين تقول لهارولان بقلق "أنت في أسوأ حال.. هل أنت متأكد أنك بخير؟"

قال رئيس الثوار وهو يقترب منه بدوره "هل أصبت مرة أخرى؟ أنت رث الحال وكأنك غبت عنا شهراً.."

أجاب هارولان "لا تقلقوا.. سأكون بخير.."

اندفعت بي ناريا لتقول "لقد أصابه الجندي الذي اختطفني في كتفه، وفقد الكثير من الدماء.. كما أن جراحه السابقة التي لم يعالجها بشكل صحيح قد التهمت وسببت له حمى شديدة.."

نظر لها هارولان بضيق وهي تضيف "لقد تلقى علاجاً محدوداً على يد قروي لجأنا عنده ليوم واحد، لكن اكتشفاهم لأمرنا اضطرنا للهرب قبل أن يسترد صحته تماماً.."

فعلق الرئيس "يجب أن تعالج الآن بسرعة قبل أن تتفاقم حالتك أكثر من هذا.. وإلا اضطررت لإعفائك من مشاركتنا مهامنا.."

صدم هارولان بهذا وهم بالاعتراض، لكن والددة جوين صاحت منادية أحد أولادها الذي كان يجلس في جانب المنزل يتأمل الجموع حوله بفضول ورهبة "اذهب إلى طبيب الحي واستدعه بسرعة.. قل له أن جدتك مريضة جداً ولا تأت بدونه"

ثم نظرت إلى الرئيس مضيفة "هذا الطبيب ثقة.. وإن تصادف وجود شخص آخر معه فلن يشك بشيء فنحن عادة ما نستدعيه لعلاج الجدة"

هز الرئيس رأسه برضى، ثم قاد هارولان ليجلس في جانب المكان قائلاً "أخبرني بما فعلته في اليومين الماضيين.."

تركّتهم بي ناريا تابعة جوين بصمت إلى إحدى الغرف لتستبدل ثيابها الرثة وتغسل جسدها المنهك.. وأثناء ذلك كان هارولان يوجز للرئيس ما حدث لهما منذ انفصلا عن البقية، وحتى دخولهم المدينة.. فقال الرئيس تعليقاً "لقد أصبحوا يعرفون بوجودنا في المدينة.. لقد عرفوا بأمرنا منذ دخول أولنا إلى يناسا.. لكننا أفلحنا بالهرب منهم والاختباء مع وجود العديد من المناصرين لنا هنا.. أما الآن وقد علموا بوجود بي ناريا، فسيكثفون جهودهم للبحث عنها وسيسخّرون الجنود جميعهم لتفتيش المنازل بحثاً وعن مخبأنا.. يجب أن نتحرك سريعاً.. فما عاد التأخير بصالحنا.."

قالت والدة جوين وهي تناول هارولان شراباً دافئاً "المكان آمن هنا.. الحيّ كله يساندكم ويتمنى الخلاص من مانيم.. ولو اقترب الجنود من أطراف الحي سيصلنا خبرهم في الآن ذاته.. لقد بدأ مانيم فور اعتقاله العرش في القضاء على معارضيه، بل وعلى جميع من ينتمي إليهم دون رادع.. ولم يسلم سكان يناسا من شره مع قوانينه الجائرة.."

قال الرئيس "ومع ذلك، يجب علينا زيادة حذرنا.. لقد وزعت عدداً من رجالنا فوق أسطح المنازل القريبة ليتحسسوا أي تحرك مريب للجنود.. ومع ذلك يجب أن نحتاط أكثر.. فليذهب خمسة من الرجال إلى الأحياء القريبة لمراقبتها وإبلاغي بأي تقدم للجنود.."

انطلق خمسة من رجاله لتنفيذ الأمر دون جدال، فيما انفردت بي ناريا بجوين في الغرفة وسألتها "هل يعلم أحد في القصر بمغادرتك المدينة بحثاً عني؟"

قالت جوين "لا.. لقد اعتذرت عن العودة للقصر مدعية الإصابة بركام قوي، وطلبت ممن أعرفهن الامتناع عن زيارتي لئلا تصيبهن العدوى.."

فقالت بي ناريا "يبقى أمر الجندي الذي اختطفني.. وجوده معك يعني أن مانيم يعلم بأمر خروجك واستغلك ليدس الجندي بهدف قتلي.. لذلك فعودتك للقصر ستكون خطرة"

علقت جوين "مستحيل أن يعلم مانيم بما فعلته.. الملكة كانت حريصة جداً، وبناء على أوامرها اخترت جنديين أعرفهما جيداً ممن يعملون في المدينة وليست لهما علاقة بالقصر.. وفور موافقتهما وإقسامهما على الولاء لك انطلقنا دون أن أترك لأحدهما فرصة لقاء أحد من القصر.. كما أنني تأكدت أنهما تخلصا من أجهزة الإرسال لئلا يستخدمهما أحدهما في الاتصال بجنود آخرين.."

قطبت بي ناريا قائلة "لكن الخائن أخبرني أن مانيم قد أرسله.."

فقالت جوين "أغلب الظن أنه كان يود التقرب من مانيم بقتلك ونيل حظوة عنده.. لابد أن أمر إحضارك لمانيم قد صدر للجنود جميعهم.."

غرقت بي ناريا في التفكير وجوين تراقبها للحظات قبل أن تتساءل "ما الذي تخططين له الآن؟"

قالت بي ناريا وهي تتأكد أن أحداً من الثوار لم يقترب من الغرفة التي هما فيها "أريدك أن تعودي للعمل في القصر كالعادة.. اقضي بعض الوقت في إنجاز أعمالك المعتادة، وعندما ينشغل الآخرون عنك، توجهي إلى جناح الملكة الأم.. طمئنيها أنني بخير، وتفحصي الخرائط التي تملكها للممرات السرية، وابحثي عن أنسب

مدخل لنا للقصر.. ولا تنسي إحضار القلادة التي ستفتح باب الممر السري.. إياك أن ترتبكي أو ينتبه أحد لما تفعلينه.. وإياك ثم إياك أن يعلم الثوار بأمر وجود الخرائط عند الملكة الأم"

وإزاء نظرة الدهشة التي تبدت في عيني جوين قالت بي ناريا "لو علموا بمكان الخرائط فسيستغنون عني.. فقط سأخبرهم أنك ستؤمنين لنا المدخل إلى الممرات السرية، وأنا من سيحضر لهم الخرائط"

ناولتها جوين بعض ملابسها النظيفة قائلة "لا تقلقي يا مولاتي.. سأكون حذرة ولن أخيب ظنك.."

تناولت بي ناريا الملابس دون اعتراض وذهبت لتستحم، بينما عادت جوين إلى حيث الثوار مجتمعين تستمع لهم بصمت وتعاون والدتها وشقيقتها الصغرى في خدمتهم.. كان الثوار قد توزعوا على بضع منازل في الجوار بانتظار أوامر رئيسهم، وبقي خمسة عشر شخصاً منهم مع الرئيس في منزل جوين يخططون للمرحلة القادمة.. وبعد فترة قصيرة دلف شقيق جوين ومعه رجل في منتصف العمر حاملاً حقيبة أدواته الطبية وهو يتساءل "ما الذي أصاب الجدة؟ هل عادت لها الآلام في صدرها من جديد؟"

تلقت والدته جوين وهي تقول "ليست الجدة هي المريضة.. بل ضيف شاب.. أرجوك أن تعالجه وتتكتم على ما يحدث هنا أيها الرجل الطيب.."

غمغم الطبيب وهو يتأمل جموع الثوار في المنزل بشيء من الدهشة "عندما أخبرني أحد رجال الحي عن قرب الثورة الوشيكة على الملك، لم أعتقد أنهم متمركزون في منزل.. ألا تخشين العواقب؟"

ابتسمت والدته جوين وهي تقوده إلى الغرفة التي تركوا هارولان يرتاح فيها "لا أخشى أكثر مما يحدث في مدينتنا بالفعل.."

اقترح الطبيب من هارولان يتفحص جراحه ملاحظاً تعبته الشديد والحمى التي لا تكاد تفارقه، ثم استخرج أدواته من الحقيبة قائلاً "جرحه ملتهب بشدة.. يبدو أنه تم علاجه بشكل مبدئي لكن ليس بشكل تام.."

قال رئيس الثوار وهو يقف قرب "هل يمكنك علاجه بسرعة؟ نحن بحاجة إليه قريباً، وأشك أن يخنع للراحة متى ما بدأنا العمل.."

قال الطبيب وهو يقطب "يمكنني حقنه ببعض المنشطات.. بالإضافة لعلاج جرحه والحمى التي يعاني منها.. لكن إن قام بإجهاد نفسه بشدة قبل أن يتعافى تماماً فسيواجه مضاعفات قوية قد يتأذى منها.."

قال الرئيس مبتسماً "أقنعه هو بهذا.."

لم يعلق الطبيب وهو يبدأ علاج هارولان الذي صمت بدوره عن التعليق وتفكيره يدور في الأحداث القادمة.. مهما كانت حالته، لا يمكنه أن يركن للهدوء والراحة وهو قاب قوسين من هدفه الذي انتظره زمناً طويلاً..

رفع مانيم رأسه عن أوراقه قائلاً بحاجبين مرتفعين "ماذا تقول؟ بي ناريا؟ أنت متأكد؟"

قال القائد العام للجند وهو يشير إلى جندي متوتر قرب "أجل يا مولاي.. هذا الجندي متأكد أن الفتاة التي

قابلها البارحة كانت هي بي ناريا ذاتها، وقد تعرف عليها من صوتها رغم تنكرها..
سأله مانيم مقطباً "وكيف تسللت للمدينة رغم حظر الدخول إليها؟"
أجاب القائد "كانت هي ورجل آخر أغلب الظن أنه هيمانبي، كما بدا من لكتته، قد تسللا للمدينة عبر فتحة في
بوابة إحدى القنوات لم نعلم عنا شيئاً قبل البارحة.. وقد أفلتا من جنودنا وسط المدينة واختفيا تماماً"
تلاعبت ابتسامة على شفطي مانيم دهش لها القائد قبل أن يقول بصرامة "ابحث عنها.. استنفر جنودك جميعهم
لتفتيش المناطق المختلفة من العاصمة، ولا تأتني إلا بأنباء سعيدة"
انحنى القائد والجندي قبل أن يغادرا القاعة تاركين مانيم يبتسم معلقاً "عدت إليّ أخيراً أيتها الجميلة.. يبدو
أن قدرك يحتم أن تقعي في قبضتي، مهما طال هروبك.."

تلك الليلة، ظل الرئيس يتأمل خارطة مفصلة للمدينة، ومجموعة محددة من رجاله حوله صامتين بانتظار أوامره..
مرّ وقت طويل والرئيس يدرس الخطة ويقلبها من جوانبها للمرة الأخيرة، ثم التفت إلى رجاله قائلاً "هذه هي
المرحلة الأخيرة يا رجال.. وهي أخطر مرحلة.. من كان منكم يريد لنفسه السلامة، ومن كان قلقاً على أهل
تركهم في الديار، فليغادرنا من الآن.. ما إن نبدأ العمل هذه المرة، فلا مجال للتردد أبداً..
قال أحد رجاله "نحن لم نقطع هذا الدرب كله لكي نتراجع الآن.. ونحن واثقون من عزم رجالنا كلهم.. فلا تقلق
من هذا الأمر..
تنهد الرئيس صامتاً لثوان، ثم قال "سأفصل لكم الخطة الآن، لكنها لن تتجاوز هذه الغرفة بأي حال.. أنتم
قادة على بقية الرجال، وأنتم من سيعملون سير الخطة بنجاح..
وأشار إلى الخارطة مضيفاً "سنتوزع إلى أربع فرق.. الأولى ستتجه إلى محطة البث التابعة للمدينة وتستولي
عليها.. الحراسة ليست هينة هناك، فهذه المحطة هي المسؤولة عن بث جميع الأخبار إلى الأقاليم كلها.. وإن
سيطرنا عليها فسنضمن أن تصل أخبار الثورة إلى أرجاء الكوكب، وهيمانبي ليس الإقليم الوحيد الذي يتمنى
الخلاص من هذا الحكم.. لكن البث لن يتم قبل أن تتحرك الفرق جميعاً وفق المخطط الذي سأبينه بعد قليل..
وأشار إلى أطراف القصر قائلاً "الفرقة الثانية ستقوم بعمليات محدودة في جوانب مختلفة من القصر.. والهدف
هو إلهاء الجنود وتشيت انتباههم لكي يتيسر لنا دخول القصر عبر الممر السري الذي ستزودنا به جوين غداً..
هذه العمليات يجب أن تكون بأعلى صخب ممكن، لكن يجب أن تتفادوا الاشتباك المباشر مع الجنود، لأنهم أكثر
استعداداً وتسليحاً منا.. ولا أريد خسران أي رجل الآن..
وأشار إلى طرف من أطراف المدينة مضيفاً "الفرقة الثالثة مهمتها تدمير مخازن الذخيرة والمركبات والاشتباك
مع الجنود قرب بوابة المدينة.. لا بد أن نحرم الجنود من الموارد التي يتفوقون بها علينا، ولا تنسوا الاستيلاء على
ما تقدرون على حمله من ذخيرة لتساعدنا في القتال..
ثم أشار إلى قلب القصر قائلاً "الفرقة الرابعة بقيادتي ستتسلل إلى قلب القصر مستغلة الصخب الدائر في

الخارج، سنقوم بعدد محدود من العمليات في أرجاء القصر لجذب الجنود بعيداً عن موقع مانيم.. بعدها سنحدد موقع مانيم بالضبط ونقضي عليه.. إن تمكنا من الوصول إلى مانيم والتخلص منه، فستسقط مقاومة الجنود ونسيطر على القصر كله بلمح البصر.. أما إن تمكن مانيم من الهرب، فستزيد مقاومة الجنود لنا ومحاولتهم إستعادة السيطرة على القصر..”

ثم نظر إلى رجاله قائلاً “فور أن نحصل على وسيلة لدخول القصر، سأحدد الوقت الملائم لكل الفرق كي تبدأ عملها.. في البدء ستبدأ الفرقة الثالثة بالهجوم في المناطق المتفق عليها، والفرقة الثانية ستساندها بالهجوم على القصر.. وأثناء تسللنا إلى قلب القصر، ستقوم الفرقة الأولى بالاستيلاء على محطة البث وبث خبر الثورة إلى أرجاء الكوكب كله..”

وقام بتوزيع رجاله على الفرق كلها، لكنه لم يكذب يفعل حتى هبّ هارولان قائلاً “لماذا تضعني في الفرقة المسؤولة عن السيطرة على محطة البث؟.. يجب أن أكون معك، في القصر..”

تنهد الرئيس قائلاً “هذا شيء لا يمكنني فعله.. وجودك قريباً من مانيم سيجعلك متسرعاً، وقد تقوم بإفساد الخطة كلها وإحباط عمل الثوار جميعهم..”

قال هارولان بعصبية “مستحيل.. لن أفعل هذا قطعاً.. لكن لا يمكنك استبعادي..”

أجاب الرئيس بصرامة “بل يمكنني ذلك.. أطع الأوامر إن كنت لا ترغب بأن أستبعدك من الثوار كلهم..”
عضّ هارولان على شفته وصمت يستمع لبقية ما يقال بنصف عقل.. شعر بالغضب، والرغبة بالثورة.. هل كان الرئيس يستغفله؟ هل كان يكذب عليه عندما وعده بتمكينه من الوصول إلى مانيم؟ صحيح أن الثورة مهمة بالنسبة إلى هارولان.. لكن القضاء على مانيم هو الأهم.. والجميع يعلم هذا.. فكيف يستبعده الآن؟..
عندما انتهى الاجتماع وتفرق الجمع عائدين إلى رجالهم، جلس هارولان في زاوية منزل جوين ساهماً والضيق يبدو جلياً على وجهه.. حاول البحث عن طريقة لتنفيذ أمر الرئيس وتحقيق ما يرغب هو بفعله في الوقت ذاته.. لم يكن يريد كسب غضب الرئيس، لكن التنازل عما أقسم على فعله الآن كان يعني بالنسبة له خيانة لكل من فقدهم..

بعد فترة قصيرة سمع صوت جوين يسأله “ما الأمر؟ تبدو في غمّ شديد..”

قال هارولان بضيق “لا شأن لك بهذا..”

قالت جوين مبتسمة “بل لي شأن بهذا.. فأمرك يهمني..”

قال هارولان بسخرية “حقاً؟ أهو أمري ما يهمك أم معرفة ما دار في الاجتماع؟”

قالت جوين “بالطبع يهمني معرفة ما دار في الاجتماع، لكن أمرك يهمني، مادام يهمّ مولاتي..”

ألقي هارولان بنظرة على بي ناريا، التي جلست بعيداً تحاول إظهار عدم اهتمامها.. لكن النظرات التي تلقىها عليهما جعلته يوقن أنها من أرسل جوين تستفسر عن أمره.. وبعد لحظات تفكير، وبعد أن تأكد أن بقية الثوار على مبعدة منهما لا يمكنهم الاستماع لما يقولانه، قال هارولان دون أن ينظر إلى جوين “لقد استبعدني الرئيس من الفرقة الذاخرة إلى القصر..”

ارتفع حاجبا جوين بدهشة معلقة "أنت؟ مستحيل.. أنت كذراعه اليمنى.. كيف يستبعدك من خطوة مهمة كهذه؟" أجاب هارولان "إنه يظنني سأفسد الأمور كلها بتسرعي ورغبتي القضاء على مانيم.. لذلك يفضل أن يرسلني في مهمة أخرى.."

صمتت جوين وهي تلقي بنظرة على بي ناريا، ثم قالت لهارولان بصوت خافت "هذه مسألة حلها بسيط.. يمكنني مساعدتك.."

التفت إليها هارولان قائلاً "حقاً؟"

ابتسمت جوين معلقة "طبعاً.. بشرط أن تكون لطيفاً مع مولاتي، ولا تعاملها بجفاء.."

قال هارولان وهو يحاول منع ابتسامة ظفر من الظهور على شفثيه "أعدك طبعاً.. لكن كيف؟"

اقتربت منه هامسة "قبل أن تذهب في المهمة الموكلة إليك، سأعطيك نسخة من الخارطة التي تدلّ على مدخل القصر السري.. يمكنك بعد أن تنهي مهمتك اللحاق برفاقك في القصر.. ولن يعترض الرئيس على ذلك مادمت قد أنهيت مهامك.. أليس كذلك؟"

ابتسم هارولان معلقاً "رائع.. أدين لك بالكثير إن فعلت ذلك لي.."

لوحث جوين بإصبعها قائلة "لا تنس ما وعدتني به.."

وعادت إلى بي ناريا التي نظرت إليها باستفهام، فيما التفت هارولان إلى النافذة القريبة وهو يبتسم بظفر.. لو لم ينك حب بي ناريا، لما كان سهلاً عليه الحصول على معلومات كهذه.. أهم أمر بالنسبة له الآن الوصول إلى رقبة مانيم، وكم هو بشوق لتلك اللحظة.. لو دفعوا له أموال الدنيا كلها لما عوضته عن النشوة التي سيشعر بها وهو يطبق بيديه على رقبة ذلك المأفون..

نظر إلى بي ناريا التي كانت تتهامس مع جوين، ملاحظاً أنها قد استعادت سواد شعرها وبياض بشرتها بعد أن تخلصت من تنكرها السابق، بالإضافة إلى استعادتها للون عينيها الأزرق الصافي، فبدت مختلفة عن الفتاة التي عرفها في هيمانيا.. بدت بشكلها هذا، عدا عن قصر شعرها، أكثر شبهاً بالملكة بي ناريا التي كان يبغض مجرد ذكر اسمها..

تنهد مشيحاً ببصره بعيداً..... بي ناريا.... هل حقاً يريد قتلها؟ هل حقاً يريد الانتقام منها؟.. لا يدري حتى الآن.. إنه يفضل إرجاء التفكير بأمرها إلى أن ينتهي من مانيم.. وبعدها، عليه تحكيم قلبه وعقله في آن واحد في أمرها..
